تفسير ابن كثير

يقول تعالى : واذكروا نعمتي عليكم في بعثي لكم بعد الصعق إذا سألتم رؤيتي جهرة عيانا مما لا يستطاع لكم ولا لأمثالكم كما قال ابن جريح قال ابن عباس في هذه الأية { وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى ا } قال : علانية وكذا قال إبراهيم بن طهمان عن عباد بن إسحاق عن أبي الحويرث عن ابن عباس أنه قال في قول ا تعالى { لن نؤمن لك حتى نرى ا جهرة } أي علانية أي حتى نرى ا وقال قتادة والربيع بن أنس { حتى نرى ا جهرة } أي عيانا وقال أبو جعفر عن الربيع بن أنس : هم السبعون الذين اختارهم موسى فساروا معه قال : فسمعوا كلاما فقالوا { لن نؤمن لك حتى نرى ا جهرة } قال : فسمعوا صوتا فصعقوا يقول ماتوا وقال مروان بن الحكم فيما خطب به على منبر مكة : الصاعقة صيحة من السماء وقال السدي في قوله { فأخذتكم الصاعقة } الصاعقة : نار وقال عروة بن رويم في قوله { وأنتم تنظرون } قال : صعق بعضهم وبعض ينظرون ثم بعث هؤلاء وصعق هؤلاء وقال السدي { فأخذتكم الصاعقة } فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو ا ويقول : رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم { لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا } فأوحى ا إلى موسى أن هؤلاء السبعين ممن اتخذوا العجل ثم إن ا أحياهم فقاموا وعاشوا رجل رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون ؟ قال : فذلك قوله تعالى : { ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون } وقال الربيع بن أنس كان موتهم عقوبة لهم فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم وكذا قال قتادة وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن حميد حدثنا سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق قال : لما رجع موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل وقال لأخيه وللسامري ما قال وحرق العجل وذراه في اليم اختار موسى منهم سبعين رجلا الخير فالخير وقال : انطلقوا إلى ا وتوبوا إلى ا مما صنعتم واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم فقال له السبعون فيما ذكر لي حين صنعوا ما أمروا به وخرجوا للقاء ا قالوا : يا موسى اطلب لنا إلى ربك نسمع كلام ربنا فقال أفعل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم : ادنوا وكان موسى إذا كلمه ا وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجودا فسمعوه وهو يكلم موسى يأمره وينهاه : افعل ولا تفعل فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام فأقبل إليهم فقالوا لموسى { لن نؤمن لك حتى نرى ا جهرة } فأخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا وقام

موسى يناشد ربه ويدعوه ويرغب إليه ويقول { رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي } قد سفهوا أفتهلك من ورائي من بني إسرائيل بما يفعل السفهاء منا ؟ أي إن هذا لهم هلاك واخترت منهم سبعين رجلا الخير فالخير أرجع إليهم وليس معي منهم رجل واحد فما الذي يصدقوني به ويأمنوني عليه بعد هذا ؟ { إنا هدنا إليك } فلم يزل موسى يناشد ربه D ويطلب إليه حتى رد إليهم أرواحهم وطلب إليهم التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل فقال : لا إلا أن يقتلوا أنفسهم ـ هذا سياق محمد بن إسحاق ـ وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير : لما تابت بنو إسرائيل من عبادة العجل وتاب ا عليهم بقتل بعضهم لبعض كما أمرهم ا به أمر ا موسى أن يأتيه في كل أناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل وواعدهم موسى فاختار موسى سبعين رجلا على عينه ثم ذهب بهم ليعتذروا وساق البقية وهذا السياق يقتضي أن الخطاب توجه إلى بني إسرائيل في قوله { وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى ا جهرة } والمراد السبعون المختارون منهم ولم يحك كثير من المفسرين سواه وقد أغرب الرازي في تفسيره حين حكى في قصة هؤلاء السبعين : أنهم بعد إحيائهم قالوا : يا موسى إنك لا تطلب من ا شيئا إلا أعطاك فادعه أن يجعلنا أنبياء فدعا بذلك فأجاب ا دعوته وهذا غريب جدا إذ لا يعرف في زمان موسى نبي سوى هارون ثم يوشع بن نون وقد غلط أهل الكتاب أيضا في دعواهم أن هؤلاء رأوا ا D فإن موسى الكليم عليه السلام قد سأل ذلك فمنع منه فكيف يناله هؤلاء السبعون ؟ .

القول الثاني في الاية : قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في تفسير هذه الاية : قال لهم موسى لما رجع من عند ربه بالألواح قد كتب فيها التوراة فوجدهم يعبدون العجل فأمرهم بقتل أنفسهم ففعلوا فتاب ا عليهم فقال : إن هذه الألواح فيها كتاب ا فيه أمركم الذي أمركم به ونهيكم الذي نهاكم عنه فقالوا : ومن يأخذه بقولك أنت ؟ لا وا حتى نرى ا جهرة حتى يطلع ا علينا فيقول : هذا كتابي فخذوه فما له لا يكلمنا كما يكلمك أنت يا موسى وقرأ قول ا { لن نؤمن لك حتى نرى ا جهرة } قال : فجاءت غضبة من ا فجاءتهم صاعقة بعد التوبة فصعقتهم فماتوا أجمعون قال : ثم أحياهم ا من بعد موتهم وقرأ قول ا { ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون } فقال لهم موسى : خذوا كتاب ا فقالوا : لا فقال : أي شيء أصابكم ؟ فقالوا : أصابنا أنا متنا ثم أحيينا قال : خذوا كتاب ا قالوا : لا فبعث ا ملائكة فنتقت الجبل فوقهم وهذا السياق يدل على أنهم كلفوا بعد ما أحيوا وقد حكى الماوردي في ذلك قولين : أحدهما : أنه سقط التكليف عنهم لمعاينتهم الأمر جهرة حتى صاروا مضطرين إلى التصديق والثاني : أنهم مكلفون لئلا يخلو عاقل من تكليف قال القرطبي : وهذا هو الصحيح لأن معاينتهم للأمور الفظيعة لا تمنع تكليفهم لأن بني إسرائيل قد شاهدوا أمورا عظاما من خوارق العادات وهم في ذلك مكلفون وهذا واضح وا أعلم